مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

# سيميائية خطاب صور صدام حسين منذ إلقاء القبض عليه وحتى إعدامه علي موقع أبوت "About"

**د. حلمي محمود محمد أحمد محسب**
المدرس بقسم الإعلام ، كلية الآداب
جامعة جنوب الوادي

أبحاث

# سيميائية خطاب صور صدام حسين منذ إلقاء القبض عليه وحتى إعدامه علي موقع أبوت "About"

د. حلمي محمود محمد أحمد محسب

المدرس بقسم الإعلام ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادي

## توطئة

إن العلاقة بين الصورة والنص علاقة جدلية تتقاطع مرات وتتفارق أخريات؛ حيث يمكن أن يُشكلا علاقة تكاملية يروي النص ما بالصورة من دلالات، وتأكد الصورة علي ارتباط النص واتساقه معها؛ وقد ينفرط عقد العلاقة بينهما بحيث تقدم الصورة نصًا سيميائيًا مخالفًا لمدلول النص المصاحب لها، وبين العلاقتين ثمة علاقة وسيطة، حيث أكد رولاند بارث (Barthe,1997) رائد علم السيمياء[1](*) البصرية على ضرورة التوازن بين اللغة البصرية واللغة اللفظية فكل منها يكمل الآخر(*).

وهذا النمط من العلاقة التكاملية بين خطاب النص وخطاب الصورة يدل علي الطبيعة المزدوجة للمعرفة التي نادي بها كل من انجلش وسلفستر 2004 English& Silvester: في كتابهما المعنون بقراءة الصور ورؤية الكلمات Reading Images and Seeing Words حيث رأيًا أن نقوم بعملية عكسية في رصدنا للواقع الاجتماعي تقوم علي قراءة الصورة للتعرف علي الدلائل الرمزية التي تحتوي عليها ومعرفة خطابها الخاص بها، وفي المقابل نقوم برؤية الكلمات للتعرف علي الطبيعة التصويرية لهذه الكلمات [2] في إشارة إلي وجود علاقة تكاملية بين النص والصورة.

---

(*) ظهرت السيميائية في الغرب على يد (دي سوسير) في فرنسا تحت مصطلح (Simiology)، وعلى يد ( شارلس بيرس ) في الولايات المتحدة الأمريكية تحت مصطلح (Semiotics ) كلٌ على حدة في وقتين متقاربين.

فكلمة سيمياء ترجع إلى السميوطيقيا/ السميولوجيا (علم العلامات) أما السميولوجيا فهو يرجع إلى تعريف دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) حيث قال: من الممكن تصور قيام علم يدرس حياة العلامات داخل المجتمع، وسماه سميولوجيا من الكلمة اليونانية التي تعني علامة(Semiologie) ، ويكشف عن ما يشكل العلامات وعن القوانين التي تحكمها.أما السميوطيقيا (Semiotics) فيرجع إلى شارلز بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) الذي قال: ليس المنطق بأوسع معاينة سوى مجرد اسم آخر للسميوطيقيا، أو نظرية العلامات.

بيد أن الصورة والنص يمكن أن يكونا علي طرفي نقيض يروي النص شيئا مخالفا لدلالة الصورة، بحيث يتم إلغاء العلاقة بينهما أو تلاشيها، مما ينجم عنه انسلاخ العلاقة ما بين خطاب النص وخطاب الصورة؛ ويؤكد علي انتفاء العلاقة كل من كريس ولوين (Kress and Leenween, 1996) فيريا أن النص والصورة يساهمان بشكل مستقل في تكوين المعاني[٣] . ويعزز هذا الانتفاء بيرنشتاين (Bernstein,1996) حيث يري أن للصور لغتها الخاصة المنفصلة عن النص البصري /اللغوي ، ولكنه يؤكد على العلاقة الاجتماعية بين الصورة وقارئها ، وهذا ما تؤكده أيضاً نظرية الرسمية التي ترى أن الصورة جزء من عالم القارئ ، وأن للصور لغتها الخاصة المنفصلة عن النص البصري (الصورة) (Halliday,1996)[٤].

ويعزو أصحاب الفصل بين دلالة الصورة والنص العامل الأساسي في انفصال هذه العلاقة إلي العامل التكنولوجي ؛ فقد أسهم التطور التكنولوجي وآلياته في تغير بعض الثوابت في الدراسات الإعلامية مثل الكاميرا لا تكذب، والصورة تعادل ألف كلمة[٥] ؛ فالصورة مثل جميع الأشكال التصويرية ليست بريئة أو محايدة في نقل الحقيقة، فهي ليست مرآة تعكس الواقع وتنقله بصدق وموضوعية، ولكنها تقوم بدور تأويل الواقع، وتفسيره وإضفاء بعض اللمسات عليه (الرتوش) لتحقيق منفعة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية معينة ، أو تكرس لأيديولوجية فكرية ما.

من ثم يمكن القول أن صور صدام حسين منذ إلقاء القبض عليه وحتي إعدامه تمثل إلغاء العلاقة بين خطاب الصورة الصادر عن الإدارة الأمريكية وخطاب النص الصادر عنها أيضا، فقد تم انتزاع هذه الأحداث من سياقها ومحاولة إلصاق الصورة بالنص لتبدو العلاقة تكاملية من قبل الإدارة الأمريكية للترويج لأيديولوجية الهيمنة معتمدة إستراتيجية التأويل والتلوين للأحداث لتتوافق ومصالحها في العراق من زاوية، ولتدعم موقف الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في الانتخابات الرئاسية لفترة ثانية من زاوية أخري.

وقد قامت وسائل الإعلام بمحاولة إقامة علاقة تلفيقية [*]بين النص والصورة المستوحيين من فكر الإدارة الأمريكية؛ فوسائل الإعلام كانت مغيبة عن الأحداث بشقيها: التصويري والنصي، ولكي لا تبدو عاجزة أمام القارئ تبنت النهج التلفيقي عوضا عن النهج الإعلامي، وأخذت عن الإدارة الأمريكية النص والصورة وبثتهما للعالم علي أنهما هما الحقيقية.

من ثمة تري الدراسة أن الخطاب السياسي الذي صدرته الإدارة الأمريكية وصدقت عليه وسائل الإعلام بوصفه خطابا إعلاميا لا يعدو عن كونه خطابان: أحدهما نصي، والآخر تصويري، منفصلان لا يقيمان علاقة تكاملية؛ فلكل خطاب لغته المستقلة عن الآخر.

---

[*] المقصود بالعلاقة التلفيقية محاولة موائمة الرأيين حتي وإن كانا مختلفين وفي لسان العرب اللَّفْقُ، بكسر اللام: أحد لِفْقي المُلاءة. وتلافق القوم: تلاءَمت أمورهم.

وإذا كانت هناك دراسات متميزة أثبتت العلاقة الكمية بين تحليل الصورة والنص متبنية تحليل المضمون بوصفه أداة للتحليل الكمي ممثلة في دراسة محمد عبد الحميد (١٩٩٩) والتي نجحت في أن تقيم علاقة تكاملية بين النص والصورة من الناحية الكمية [٦]؛ بيد أن دراسة شهيرة فهمي ٢٠٠٤ التي تناولت صور سقوط تمثال صدام حسين فإنها لم تصل إلي ارتباط ذو دلالة بين النص والصورة من الناحية الكمية[٧].

أما الدراسة الحالية تسعي لأن تقيم علاقة كيفية للصور مساوية للعلاقة النصية من حيث الدلالة متبنية تحليل الخطاب النقدي، وإن كانت هذه الدراسة تتبني انفصال العلاقة بين النص والصورة، فذلك لا يمنع العلاقة التكاملية التي أثبتتها دراسة محمد عبد الحميد السابق ذكرها ، ولا تنفي نتائج دراسة شهيرة فهمي ، ولكنها تضيف للعلاقتين السابقتين انفصال العلاقة بين خطاب الصورة وخطاب النص ومرجع الاختلاف يعود لمعطيَ موضوع الدراسة وأداة التحليل.

## أولا: الدراسات السابقة

تسعي هذه الدراسة في عرضها للتراث العلمي الخاص بالخطاب النقدي التصوري علي مسارين: المسار الأول: خاص بالتأصيل التاريخي لمنهج تحليل الخطاب النقدي للوقوف علي التحول المنهجي الذي طرأ علي تحليل الخطاب ليتجه إلي دراسة سيمياء الصورة ، المسار الثاني يرصد التطور المتعلق بتحليل الصورة للوقوف علي وحدات التحليل التي يمكن استخدامها في تحليل خطاب الصورة بوصفه خطابا مستقلا عن الصورة يمكن إخضاعه للتحليل.

### (أ) التأصيل التاريخي لتطور الخطاب النقدي

ظهر مصطلح تحليل الخطاب علي يد **Zellig Harris** عام ١٩٥٢ في عنوان بحثي تحت مسمي: طـــرق البـــنية اللغـــويـــة **Methods in Structural Linguistics"** وقد خرج هذا المنهج من عباءة مدرسة فرانكفورت ومدرسة الماركسية الجديدة **Neo-Marxist** والتي شملت نضج التيار الحداثي، ومن الملفت للنظر أن تحليل المضمون ظهر في نفس العام ١٩٥٢ علي يد بيرسون لينصرف تحليل المضمون إلي الجانب الكمي، وينصرف تحليل الخطاب إلي الجانب الكيفي في تحليل النصوص[٨].

ثم أخذ تحليل الخطاب في النمو والتطور خلال فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي وأخذ يستشري في معظم العلوم الإنسانية والاجتماعية ممثلة في اللغويات والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم السياسة، والدراسات الإعلامية...، بيد أن هذه المعارف والعلوم لم تأخذ منحي محدد في دراسة الخطاب؛ ولكن اختص كل مجال معرفي بمنهجيته وفرضياته في دراسة الخطاب.

واكب هذه الاختلاف المنهجي اختلافا في مجالات الخطاب؛ فالدراسة اللغوية للخطاب تركز علي أحد جانبين : أحدهما خاص بتحليل الصوتيات والتراكيب اللغوية والصرفية والبلاغة، والآخر خاص بتحليل النص والسياق الذي قيل فيه هذا النص، في الوقت الذي يركز فيه علم السياسة علي النص والقوي الفاعلة والحجج المدعمة للنص مع الأخذ في الاعتبار الأيديولوجيات التي يتبناها الخطاب أو يعكسها ، بينما ينصب جُل اهتمام علم الاجتماع في دراسته للخطاب علي الأيديولوجيات الخاصة بالخطاب ومدي تطابقها واختلافها مع الواقع المجتمعي والبنية المجتمعية، أما علم النفس فيقوم بدراسة العلاقة بين الخطاب والمجال المعرفي والذاكرة[٩] ، أما المجال الإعلامي فينظر إلي الخطاب بوصفة عملية اتصالية محاولا استشفاف كيفية تشكيل العالم الاجتماعي من خلال الخطاب[١٠]. ولم يقف التطور في تطبيق تحليل الخطاب عند هذا الحد بل بدأ يظهر مصطلح تحليل الخطاب النقدي **Critical Discourse Analysis CDA** ليضيف إلي تحليل الخطاب التقليدي ملامح أخري وأدوات بحثية جديدة ؛ فقد بدأت ملامحه تتضح من خلال كتابات نورمان فيروكلاوش **Norman Fairclough** [١١] .

وقد بدأ هذا المنهج في أواخر السبعينيات من القرن الماضي في جامعة شرق إنجلترا **East Anglia** ، وتم الاعتراف به كمنهج متميز في الثمانينيات من القرن الماضي. ولم يقف تحليل الخطاب النقدي في تعامله مع النص اللغوي عند حد معاني الكلمات والجمل ومقاصد كاتبيها والسياق القريب الذي كتبت فيه والتي كان يهتم بها الخطاب التقليدي، بل امتد ليشمل رؤية اللغة كممارسته اجتماعية فعلية ترتبط بمستويات اجتماعية أعلى كالسلطة والتغير الاجتماعي وصراع القوى داخل المجتمع الواحد؛ ومن ثم فالنص اللغوي يغدو هنا مفتاحا لقراءة الواقع الاجتماعي[١٢].

أما فيما يتعلق بالدراسات الإعلامية فقد بدأ تحليل الخطاب النقدي بدراسة النصوص المطبوعة في المقالات والافتتاحيات الصحفية التي تتناول التحيزات الأيديولوجية علي يد فلور وزملائه عام ١٩٧٩ الذين طوروا منهج التحليل اللغوي الاجتماعي **sociolinguistic metho** القائم علي نظريات هاليداي [*] **Halliday's theories** وكان تركيزهم منصبا علي أن اللغة والتراكيب النحوية بوصفها أدوات اتصالية تكرس لأيديولوجية وشرعية المؤسسات الاجتماعية[١٣])

ثم أكتسب تحليل الخطاب النقدي أرضا خصبة من خلال تحليل الخطاب المنطوق المتمثل في تحليل المناقشات البرلمانية علي يد كل من فودك وديك **Wodak and Dijk:2002** فقد حللا المناقشات البرلمانية خلال عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧ في ست دول أوربية وكان الهدف من تحليل الخطاب الكشف عن الطبيعة اللغوية للأيدلوجيات [١٤].

---

[*] نظريات هاليداي :هي نظريات قائمة علي التحليل اللغوي لترابط النصوص ، فقد قام هاليداي وحسن (Halliday and Hassan) 1976 بتصنيف طرق الربط الموجودة في النص بخمسة أنواع هي: الربط بالضمير ، الربط بالإبدال، الربط بالحذف، الربط بالأدوات، الربط الدلالي أو الربط بالألفاظ .

وجاءت دراسة تشولرك Chouliaraki Lilie:2002 لتفتح أرضا جديدة في مجال تحليل الخطاب من خلال تحليلها لأحداث ١١ سبتمبر في التليفزيون الدانمركي باستخدام تحليل الخطاب المتعدد multi-modal discourse المتمثل في التحليل الثلاثي : كاميرا/بصري، وجرافيك/تصويري، وسمعي/لغوي ، وبذلك فقد فتحت الدراسة المجال أمام تحليل الخطاب لجميع وسائط الإعلام سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية[١٥].

## (ب) آليات تحليل خطاب الصورة

حدد كل من كريس وليوفن Kress & Leeuwen: 1996 عناصر تحليل الصورة في ستة عناصر؛ الأول: المنظور؛ ويقصد به الطريقة التي يري الشخص من خلالها الصورة، سواء أكانت بشكل رأسي أم أفقي، وهل رؤيته للصور موضوعيته أم ذاتيته، الثاني: الإضاءة ، حيث تقوم الإضاءة بنقل معاني مرتبطة بالصورة كالخوف أو الأمن، الإحساس بضوء الليل أو النهار أو القمر، وهل الصور بها ظلال أم لا ومدي دلالة هذه الظلال، الثالث: اللون؛ المقصود به دلالة كل لون داخل الصورة، الرابع :المسافة الاجتماعية، المقصود بها الألفة أو الغُربة تجاه الصورة الخامس: الحالة المزاجية، والمقصود به توليد معاني حول الصورة لدي المشاهد السادس: شَكْلِيَّة الصورة Modality والتي تستخدم لتحديد صدق الصورة ومصداقيتها والثقة بها[١٦].

كما حدد الباحثان كريس وليوفن Kress & Leeuwen: 1999 خمسة عناصر مرتبطة بإخراج الصورة وهي: أولا: بروز الصورة Salience التي تتصل بألوان الصورة وموضعها وحجمها والعناصر الثقيلة بها، ثانيا: مسار القراءة، حيث يتم تحدد مسار الصورة من خلال بروز الصورة؛ حيث يبدأ مسار القراءة إما بأتباع الخط اللوني الذي ينقل القارئ من لون إلي لون أو يتم الانتقال من خلال الأحجام الموجودة بالصورة حيث يتم الانتقال من الأحجام الكبيرة إلي الأحجام الصغيرة، ثالثا: الموجهات Vectorsوالمقصود بها الدلائل التي تقود القراء مثل: حركة العين أو اتجاه الأصابع، أو طريق موجود في الصورة أو سهم موجود بالصورة ... ، رابعا: المحاور التركيبية The compositional axes المقصود بها أن الصورة يمكن أن تقرأ من خلال المحور الرأسي أو المحور الأفقي ، بيد أن الكاتبين قدما محورين آخرين هما: المحور المعطي Given الذي يظهر من خلال النظر إلي الصورة ، والمحور المستنتج New الذي يتم إدراكه من خلال ذاتيتنا. خامسا: المركز والهامش Centre and margin ، يقصد بالمركز المعلومات الجوهرية بالصورة ، بينما يعني الهامش المعلومات المساعدة أو الإضافية[١٧].

قدم كل من فوس وكنينجيتر Foss & Kanengieter, 1992 أسلوبين لدراسة خطاب الصورة: أطلقا علي الأسلوب الأول: صياغة الرسالة من الصورة، ويتضمن ثلاث إجراءات التحقق من عناصر الصورة ، ومعالجة الصورة ، وصياغة الصورة ، بينما أطلقا علي الأسلوب الثاني: تقييم الصورة؛ ويحتوي علي ثلاث إجراءات تحديد وظائف الصورة ، تقييم الوظائف ، تحليل الروابط الموجودة في الصورة من خلال

تحليل بياناتها المتمثلة في موضوع الصورة ، والألوان، وشكل الصورة ، كما ركزا الكاتبان علي إدراك المستقبل للصورة بوصفة محددا لوظائفها(١٨).

صنف دورين ربورت Dorion Robert:2005 الوسائل التي تستخدم في التخيل الرقمي والتي يمكن من خلالها طمس الحقيقية في الصورة، حيث رأي أن التقدم في التصوير الرقمي يمكن أن يغير شكل الصورة من خلال طريقتين: الأولي الطريقة الخطية؛ والمتمثلة في تقنيات زيادة حدة اللون أو طمس اللون أو نقصان الاهتزاز في الصورة أو تحسين حواف الصورة، الطريقة الثانية : غير الخطية من خلال إضافة التباين إلي الصورة عن طريق اللعب في وحدات وإحداثيات الصورة من خلال التحكم في تصحيح الجاما وميزان الرمادية في الصورة وتصحيح منحنيات الصورة. بالإضافة إلي ذلك يمكن تحقيق الخداع في الصورة عن طريق إضافة المرشحات للصورة، وهذه الإجراءات يمكن أن تتم في كل الصورة أو جزء منها، وبنفس الطريقة يمكن التحكم في ملفات الفيديو عن طريق إلغاء تتابع الصور ومن ثم التعامل مع كل صورة في المشاهد وفقا للطريقة الخطية أو غير الخطية أو كلاهما ، وهذا التحريف من المستحيل اكتشافه إلا إذا كان لدي محلل الصورة نسخة أصلية من الصورة ، وبناء علي هذا العرض حدد الكاتب طريقة محدده للاحتفاظ بالصور الأصلية حتى لا يمكن استخدامها في الخداع(١٩).

قسم تولان Toolan:2002 في تحليله لأنماط المشاركة في الصورة الأشخاص المشاركين إلي نوعين : الأول: المشاركين الفاعلين Interactive Participants وهم المساهمين في العملية الاتصالية الذين يصنعون الصور أو يتعرضون لها. الثاني: المشاركين الممثلين في الصورة Represented Participants موضوع الاتصال ، وهم الأشخاص والأماكن والأشياء (متضمنة الأشياء المجردة) الموجودة بالصورة(٢٠).

## ثانيا : مشكلة الدراسة

في ضوء الدراسات السابقة التي عرضت للتطور الناتج في تحليل الخطاب النقدي وعدم وقوفه عند حد التحليل النصي وتجاوزه إلي تحليل الخطاب التصويري، وفي ضوء رصد هذه الدراسات لوحدات تحليل الصورة يمكن تحديد المشكلة البحثية في تحليل الخطاب السيميائي النقدي لصور صدام حسين منذ اعتقاله وحتى إعدامه.

فلم تلق صور تشكيكاً حول طبيعتها مثل صور الرئيس العراقي صدام حسين منذ إلقاء القبض عليه وحتى إعدامه من اتهام بعدم الواقعية وعدم المصداقية نظرًا لصدور هذه الصور من قبل الإدارة الأمريكية وعدم السماح بإقامة اتصال بين صدام حسين ووسائل الإعلام للوقوف علي طبيعة إلقاء القبض عليه وشرح موقفه لوسائل الإعلام.

من ثم تسعي الدراسة لتحليل الصور باعتبارها "نصاً" سيميائياً له استقلاله وقراءته عن النص للوقوف علي طبيعة الخطاب الإعلامي الذي أرادت أن توصله الإدارة الأمريكية للمجتمع الدولي بوصفها الجهة الوحيدة التي استقي منها الإعلام موضوعاته حول القبض علي صدام حسين من خلال بثها لصور القبض عليه ومحاكمته التي فصلتها عن سياقها الموضوعي وأضفت عليها سياقها الخاص لتروج لأيديولوجيتها، باستثناء موضوع إعدام صدام حسين الذي قدمته الحكومة العراقية لوسائل الإعلام.

## ثالثا: أهمية الدراسة

تتحدد أهمية الدراسة كونها محاولة لدراسة دلالات أبعاد الصورة بوصفها خطابا يتوازي مع الخطاب النصي في محاولة لتحديد سمات هذا الخطاب وخصائصه ، لفتح الباب أمام الخطاب بشقية البصري واللغوي للدراسة.

كما تتحدد أهمية الدراسة في رصد ملامح وأبعاد الخطاب البصري بصفة عامة وخطاب الصورة الإعلامية علي وجه الخصوص من خلال تحديد السياق الذي أنتجت فيه هذه الصور والجهات الموجه لها هذا الخطاب.

## رابعا: أهداف البحث

يهدف البحث لرصد وتحليل الأدوات التي يستخدمها خطاب الصورة للتعرف علي الأنساق الأيديولوجية التي تقدمها الصور بوصفها خطابا بصريا ، كما يسعي البحث لرصد دلالات الزمن وأثرها في الخطاب علي أساس ارتباط أنتاج الصورة بالزمن من ناحية التسجيل الزمني للحدث، وكذا من ناحية التقاط الصورة ، كما تسعي الدراسة لتحديد الملامح المميزة لخطاب الصورة ممثلة في الألوان ولغة الجسم وزوايا التقاط الصورة ومناظيرها بوصفة خطابا له ملامح وسمات مميزة عن الخطابي النصي.

## خامسا: تساؤلات الدراسة

(١) كيف تم توظيف الزمن بدلالاته السيميائية في خطاب صور صدام حسين؟

(٢) ما دلالة لغة الجسم في صور صدام حسين وأثرها علي الخطاب غير المعلن في محاكمته؟

(٣) هل تم التركيز علي ألوان بعينها في خطاب صور صدام حسين؟

(٤) ما دلالة زاوية التقاط صور صدام حسين ودورها في خطاب الصورة أثناء إعدام صدام حسين؟

(٥) ما المحاور والمناظير التي ركزت عليها صور صدام حسين ومدلولها علي خطاب الصورة؟

(٦) ما الأنساق الأيديولوجية التي قدمها خطاب صور صدام حسين منذ القبض عليه وحتى إعدامه؟

## سادسًا: الإطار المنهجي للدراسة

### المنهج المسحي

تستخدم هذه الدراسة المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي علي النحو التالي:

(١) المسح الوصفي:

يسعي الجانب الوصفي من منهج المسح لرصد استخدام الصور الخاص بصدام حسين من حيث رصد الخطاب المباشر لهذه الصور وتحديد الخطاب المعلن والدلالات السيميائية الواضحة التي تحتوي عليه الصور المنشورة عن صدام حسين من قبل الإدارة الأمريكية والحكومة العراقية.

(٢) المسح التحليلي

يسعي الجانب التحليلي من منهج المسح لتحديد الدوافع والأسباب الكامنة وراء نشر الصور الخاصة بصدام حسين، وتحديد دلالة التوقيت والأبعاد الأيديولوجية وراء نشر الصور الصحفية الخاصة بصدام حسين بهدف تحديد البعد السيميائي المضمر من نشر هذه الصور.

## سابعًا: أدوات الدراسة

تستخدم الدراسة أداة تحليل الخطاب النقدي التي قدمها فيروكلاوش لتحليل الحدث الإعلامي Communicative Event لرصد العلاقة بين واقع الحدث الإعلامي الذي يتضمن الصور الإعلامية من ناحية ، وظروف إنتاج هذه الصور من ناحية أخري ([٢١]) ويتسق تحليل الخطاب مع التحليل السيميائي الذي يركز علي إستراتجية صياغة المعني (من خلال الأشكال التصويرية ) من ناحية ، وإقامة العلاقة بين الأشكال التصويرية من ناحية أخري .

من ثم تفيد الدراسة من تحليل الخطاب النقدي والسيميائي في إقامة علاقات غير مرئية من خلال تحليل النسق السيميائية للصور علي مستويين من التحليل، الأول: يرتبط بإدراك الرسالة البصرية في الصورة وينحصر في التعامل مع الصورة باستقلال عن منتجها، أما التحليل الثاني: فإنه يرتبط بتأويل الصورة ورصد الدلالات الخفية التي تحتوي عليها متبنية دراسة لغة الجسد ، وزوايا التصوير، لتوضيح الكلام المسكوت عنه ، وذلك من خلال نسق من المقاربات وتشمل([٢٢]):

أ- النسق الداخلي والخارجي ويشمل:
- النسق من الأعلى (الرسالة البصرية).
- النسق من الأسفل (الدعاية).
ب- مقاربة إيكونولوجية، وتشمل:
- المجال الثقافي والاجتماعي.
- مجال الإبداع الجمالي في الرسالة.
ج- المقاربة السيميولوجية، وتشمل:
- مجال البلاغة الرمزية في الرسالة.
- المعنى التقريري الأول والمعنى التضميني الثاني (تفسير الرسالة البصرية).
- التقييم شخصي.

## سابعا: عينة الدراسة

نظرا لحصول وسائل الإعلام علي مادتها الإعلامية الخاصة بصور صدام حسين من الإدارة الأمريكية أو الحكومة العراقية؛ فإن هذين المصدرين قد حددا المعلومات التي يجب أن تقدم لوسائل الإعلام وتلك التي يجب حجبها ، ومن ثم فوسائل الإعلام قد حصلت علي نصيب متساوي من المادة النصية أو المصورة، ونلمس ذلك من تشابه الصور في وسائل الإعلام، فصور القبض علي صدام حسين استقتها وسائل الإعلام من الإدارة الأمريكية، وصور محاكمة صدام حسين استقتها من الحكومة العراقية - التي كانت تخضع لمراقبة وسيطرة الإدارة الأمريكية - أما صور إعدام صدام حسين فقد استقتها من الحكومة العراقية ومن قبل شهود إعدام صدام حسين.

وعليه فإن تحديد صحيفة بعينها أو شبكة تليفزيون بعينها لا يعد ذا قيمة ، لذا فإن الدراسة اعتمدت علي الصور المنشورة علي الإنترنت في مواقع أبوت [About] [٢٣] وهو جزء من موقع صحيفة نيويورك تايمز [٢٤] New York Times Company ، الذي يهتم بتجميع الصور الإعلامية من المواقع المختلفة ، وكذلك الكاريكاتير الخاص بهذه الصور ، وذلك من خلال استخدام كلمات مفتاحيه في البحث داخل الموقع هي:

| | |
|---|---|
| Saddam's Capture أسر صدام | Saddam arrested القبض علي صدام |
| Saddam On Trial صدام في المحاكمة | Saddam Hanged By Iraqi Court المحكمة العراقية تأمر بشنق صدام |
| Saddam Hussein's Execution إعدام صدام حسين | Saddam Hussein Sentenced to Death الحكم بالإعدام علي صدام |
| | Saddam death موت صدام |

## ثامنًا : نتائج الدراسة

### (أ) توقيت التقاط الصورة ودلالاته في خطاب الصورة.

يعول علي زمن التقاط الصورة كثيرًا في الخطاب السيميائي ، فالصورة هي تثبيت لحظة من الزمان، لذا فتحليل زمن التقاط الصورة وزمن نشرها يحملان دلالات سيميائية مرتبطة بالصورة ، وعليه فإن تحليل الزمان في الصورة يقوم علي مستويين : الأول: استاتيكي أي تحليل ما هو ظاهر وباد في الصورة وواضح للعيان؛ واصطلح علي

تسميته بالحضور، الثاني: كامن يسعي لكشف العلاقات الدلالية غير المرئية ؛ واصطلح علي تسميته بالغياب، ومن ثم يركز البحث علي توقيت القبض علي صدام حسين، وتوقيت إعدامه باعتبارهما الحدثين الأكثر بروزا بالنسبة للتوقيت.

## (١) توقيت القبض علي صدام حسين

تشير الأنباء إلي أن توقيت إلقاء القبض علي صدام حسين هو الساعة الثامنة والنصف مساء يوم السبت بالتوقيت المحلي للعراق الموافق١٣ /٢٠٠٣/٨ [٢٥]، مما يعني أن الصور قد التقطت في التوقيت الليلي، وبالنظر إلي صور إلقاء القبض علي صدام حسين (صورة ٢) نجد فيها ضوء النهار واضحا، ومن ثم فوضوح الضوء في هذه الصور يشير إلي أحد فرضيتين :

الفرضية الأولي: الخاصة بصدق رواية القبض علي صدام حسين كما روتها الإدارة الأمريكية :

لذا فإن هذه الصورة أما أن يكون قد حدث بها بعض الرتوش لزيادة فتوح الصورة، وهذا يوحي من الناحية العلمية أن الإدارة الأمريكية أرادت التأكيد علي الخبر بإضافة ضوء النهار إلي الصورة الذي يشير في أحد جوانبه السيميائية إلي مصداقية القبض علي صدام حسين من ناحية، ويعطي الأمل للقوات الأمريكية في إنهاء المقاومة في العراق بعد القبض علي صدام حسين من ناحية أخري.

بيد أن هذا الضوء قد عصف بمصداقية الصورة؛ لأنها مخالفة لواقعة إلقاء القبض علي صدام حسين، ومن ثم فالصور لم تكن مدعمة للموضوع ، ولكنها أثارت العديد من الشكوك حول واقعة إلقاء القبض علي صدام حسين، وجعلت بعض الصحف العربية تتبني وجهة نظر إلقاء القبض علي صدام حسين في وقت سابق للتاريخ الفعلي الذي أصدرته الإدارة الأمريكية .

أما فيما يتعلق بالأمل الدال عليه ضوء النهار ؛ فربما رغبت الإدارة الأمريكية من استخدامه أن تعطي قواتها الأمل في إنهاء المقاومة في العراق بالقبض علي صدام حسين، أو أرادت أن تعطي العراقيين الأمل في مستقبل ما بعد صدام حسين ، أو أرادت الأمرين معا.

الفرضية الثانية : أن تكون هذه الصورة غير واقعية، وقد تم إلقاء القبض علي صدام حسين في وقت سابق من التقاط هذه الصور في التوقيت النهاري ، ومما يؤكد هذه الفرضية بعض التصريحات الأمريكية قبل القبض علي صدام حسين.تم الترويج لفكرة القبض علي صدام حسين بفترة سابقة علي القبض عليه ، وذلك عندما قام المستشار العسكري لقناة فوكس الإخبارية Fox بعمل لقاء مع الجنرال العام روي أودرنوا Roy Odierno قائد الفرقة الرابعة مشاة ، الذي صرح بان القوات الأمريكية ستجد صدام بالقرب من تكريت[٢٦].

فمن غير المقبول أن يكون قائد الفرقة الرابعة مشاة صرح بمعلومات مسبقة علي القبض علي صدام حسين ويفشي بمعلومات سرية تجهض محاولة القبض علي

صدام حسين من زاوية، وتعرضه للمحاكمة العسكرية من زاوية أخري؛ إلا إذا كانت لديه توجيهات صريحة من الإدارة الأمريكية والجيش الأمريكي بتسريب هذه المعلومات لتهيئة الأذهان لتقبل خبر القبض علي صدام حسين عندما تقدمه وسائل الإعلام.

ويدعم هذه الشكوك إن الإدارة الأمريكية لم تسمح للصحفيين بالالتقاء مع صدام حسين، ولم تسمح له أن يتحدث إلي الرأي العام عن تجربة إلقاء القبض عليه، من ثم فإن واقعة إلقاء القبض علي صدام حسين كانت سابقة علي هذا الوقت، وتم الإعلان عنها في هذا التوقيت ليدعم موقف الرئيس الأمريكي في الانتخابات الرئاسية من زاوية، ويقضي علي روح المقاومة التي اشتدت وطئتها علي الإدارة الأمريكية من زاوية أخري.

فوفقا لمسوح الرأي العام التي قام بها كل من معهد جالوب Gallup ، وصحيفة USA الأمريكية ، وشبكة تليفزيون CNN عقب القبض علي صدام حسين في يومي ١٥- ١٦ ديسمبر، زادت شعبية بوش بواقع ٩% لتصل إلي ٦٣% بعدما كانت ٥٤% في الفترة من ١١-١٤ ديسمبر[٢٧] .

فضلا عن كل هذا فقد ظهر في بعض وسائل الإعلام العربية والمنتديات العربية علي الإنترنت المتعاطفة مع صدام حسين بوصفه الأمل الذي تحدي الإدارة الأمريكية تكذيبا للقبض علي صدام حسين متذرعين تارة بأن ما ظهر في الصورة شبيه لصدام حسين، ومتذرعين تارة أخري بأن توقيت القبض علي صدام حسين كان مخالفا لما أعلنته الإدارة الأمريكية، مثل رواية "البلح لا يظهر في هذا التوقيت بالذات".

البلح والتشكيك في القبض علي صدام، شكل(١)

أثارت هذه الصورة العديد من ردود الأفعال حول مصداقية توقيت القبض علي صدام حسين ، فقد اتخذتها المنتديات عبر الإنترنت ذريعة للتشكيك في مصداقية توقيت القبض علي صدام حسين، ولعل ما يدعم رواية (الأسر) قبل الاعتقال هي تلك الصورة المنشورة في وسائل الإعلام للنخلة التي تظهر خلف جنديين أمريكيين يحاول أحدهما النزول إلى (القبو) حيث كان يتواجد صدام (فالبلح) المتدلي من النخلة والذي يكسوه (اللون الأصفر) يفضح الرواية الأمريكية وينسفها من أساسها، ومن ثم يدعم رواية أن صدام اعتقل قبل هذا التوقيت بكثير،

فالبلح لا يظهر في الشتاء لاسيما في العراق وبالذات في المنطقة العربية لا يصل إلى مرحلة (البسر) ذات الشكل الأصفر إلا في فترة الصيف[٢٨].

وقد ذكرت صحيفة الشروق التونسية بمقابلة مع ابن طه ياسين رمضان تطرق فيها إلى قصّة سقوط بغداد... وبدء المقاومة. وحول اعتقال صدام: "كذلك بالنسبة للسيد الرئيس فقد أعلم والدي في المحكمة كيف تمت عملية القبض عليه... فلما أنهى صدام الغداء، طلب من مرافقيه أن يتركوه لمدة ربع ساعة ثم يعودون إليه... يقول صدام لطه ياسين رمضان، انه ذهب للنوم، ربع ساعة وطلب منهم إيقاظه... بعد ربع ساعة ولم أصح إلا وأنا بين أيدي الأمريكان"[٢٩].

وحول موضوع الحفرة، قال: "موضوع غير صحيح... إنه فبركة إعلامية، قصد الإساءة إلى شخص الرئيس... كان صدّام مقيما في بيت يشرف على نهر بين تكريت والدور... ذاك النهر الذي عبره الرئيس سباحة... هذه هي القصة الحقيقية للقبض على أبي وعلى صدام.[٣٠].

هذه الروايات المتباينة في سرد التوقيت علي الرغم من اختلافها إلا أنها تلتقي في حقيقة واحدة هي أن القبض علي صدام حسين لم يكن بهذه الصورة التي أوردتها الإدارة الأمريكية وصدرتها لوسائل الإعلام.

## (٢) توقيت إعدام صدام حسين

إن الحكم بالإعدام على صدام كان متوقعا في ظل تسييس القضية، حيث أتي قبل يومين من انتخابات التجديد النصفي للكونجرس الأمريكي ، وهو ما قد عزز موقف الجمهوريين في الانتخابات، ومهد الطريق أمام نجاحهم في انتزاع السيطرة على الكونجرس من الديمقراطيين.

وكانت جلسة النطق بالحكم قد بدأت صباح الأحد، وهو يوم عطلة بالنسبة للقضاء العراقي، وسط إجراءات أمنية مشددة تحسبا لأي أعمال عنف قد تحدث[٣١].

إن إعلان توقيت إعدام صدام حسين عشية عيد الأضحى قد اختارته الإدارة الأمريكية بالتنسيق مع الحكومة العراقية ؛ فعيد الأضحى عطلة رسمية في جميع البلدان العربية والإسلامية، ومن ثم فيمكن امتصاص ردود الأفعال والاحتجاجات إلى مرحلة ما بعد عطلة العيد ، وذلك التأخير يجعل ردود الفعل أقل حدة وأقل اتساعاً.

فضلا عن ذلك فيمكن حصر النقاش عند البعض على التوقيت وليس على شرعية المحاكمة والإعدام في دولة تحت الاحتلال، وهذا ما حدث بالفعل في مناقشة

جميع وسائل الإعلام العربية لإعدام صدام حسين التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية للوقوع في ذلك الفخ وبمطالعة ما أوردته الصحف العربية والعالمية في هذا السياق يتضح أن وسائل الإعلام العربية قد انساقت طواعية لتنفيذ ذلك المخطط.

وفقا لما أوردته محطة CNN الإخبارية الأمريكية نقلا عن لقاء أجرته صحيفة الحياة مع قاضي محكمة الدجيل رءوف رشيد حيث رأي أن: " تنفيذ الحكم لم يتم في الوقت المناسب، فيوم الأول من عيد الأضحى المبارك، ليس بالوقت المناسب لتنفيذ أحكام الإعدام"(٣٢).

وأوردت صحيفة الشرق الأوسط إن "اختارت توقيت إعدام صدام حسين فجر عيد الأضحى، أول أيام العيد بالنسبة لسنة العراق، والعالم الإسلامي، ونحن نعرف أنه حتى الغرب لا ينفذ حكم الإعدام ليلة الميلاد"(٣٣).

كما أوردت صحيفة الحياة أيضا تعليقا علي نبأ إعدام صدام حسين " حتى في الغرب جرت العادة ألا يرسل المحكوم عليهم إلي الإعدام في يوم عيد كعيد الكريسماس لأنه مثل بقية الأعياد مناسبة للتسامح والرحمة أو على الأقل للنسيان. هذا هو الحال أيضا بالنسبة للأعياد الدينية الإسلامية التي تحرص الحكومات فيها على أن تمنح العفو عن بعض المحكوم عليهم، وتطلق سراح من تبقى لهم عقوبات قليلة في السجون، هذه هي العادة عند المسلمين وعند غيرهم في أيام الأعياد، وليس قتل المحكومين حتى لو كانوا مُدانين ومن عتاة المجرمين ممن يستحقون الإعدام(٣٤).

ونقلا عن قناة العربية وصف المرجع الشيعي العراقي آية الله جواد محمد الخالصي توقيت تنفيذ الحكم بإعدام صدام بأنه "بلاهة وبلادة وغباء". في الوقت نفسه، اتهم الأمريكيين بالتخطيط لعملية الشنق في هذا الوقت لإثارة فتنة مذهبية(٣٥).

أما الموقف الدولي من تنفيذ حكم الإعدام بصدام حسين فقد قابلته ثلاث دول بالترحاب وهي في الأصل علي خلاف مع صدام حسين وهم (إسرائيل والكويت وإيران) أما بقية دول العالم فقد انقسم موقفها بين أن هذا القرار من صميم سلطان الحكومة العراقية ويمثله اليابان وأستراليا والولايات المتحدة ، وبين دول شجبت هذا القرار ومنها: بريطانيا والدول العربية جميعها باستثناء الكويت، أما المنظمات الحقوقية ممثلة في منظمة "هيومان رايتس ووتش" فقد شجبت تنفيذ حكم الإعدام بحق صدام، وقالت "إن التاريخ سيحكم بقسوة على المحكمة " (٣٦).

## (ب) سيميائية القبض علي صدام حسين

تعكس سيميائية القبض علي صدام حسين العديد من الدلالات السيميائية، كما تثير العديد من التساؤلات حول مصداقية ما تردد في وسائل الإعلام الغربية من قبيل: "

أن صدام حسين كان متعاونا أثناء القبض عليه" ولم يبدي أي مقاومة"، كما تثير صور القبض علي صدام حسين دلالات عامة ، ودلالات خاصة.

أما فيما يتعلق بالدلالات العامة فإن سيميائية صورة القبض علي صدام حسين في ملابس رثة يزيح من الأذهان كل صور صدام حسين القديمة الأنيقة سواء أكانت عسكرية أم مدنية، عائلية أم تذكارية ؛ ليحل محلها في مخيلة القارئ والمشاهد العربي والغربي علي السواء صورة صدام حسين الجديدة لينفي عنه كل هالة أو سلطة أو سطوة من ناحية ، وليربط المشاهد أو القارئ بين أفعال صدام حسين القبيحة مع الشعب العراقي وتلك الملابس الرثة من ناحية أخري، لتثبيت صورة صدام حسين الرديئة والقبيحة في الأذهان المتماشية مع ما فعله بالأكراد العراقيين وليظهر جبن صدام حسين فهو لا يستطيع أن يواجه العالم ، لذا فهو يختبأ في حفرة تحت الأرض مثل الفأر الهارب من المصيدة.

أما فيما يتعلق بالدلالات الخاصة فتشير صورة القبض علي صدام حسين إلي دلالتين سيميائيتين ، الدلالة الأولي : يمكن استنتاجها من خلال الصورة التي

مصدر (AP) صورة(٢)

يمسك بها صدام حسين في يده، بالنظر إلي صورة رقم (٢) الخاصة بالقبض علي صدام حسين نجد بها صورة شخصية له ممسكا بها في يده اليمني للتأكيد من قبل الإدارة الأمريكية علي أن هذا الشخص الظاهر في الصورة هو صدام حسين وليس شخص آخر.

نظرا لأن أخر مشهد ظهر به صدام حسين أمام العدسات التليفزيونية لم يكن له لحية كثيفة ، كما أن ملابسه كانت بالزى العسكري، وتعكس هذه السيميائية محاولة تأكيد الإدارة الأمريكية أن هذا الشخص هو صدام حسين وليس شبيها له في محاولة وقائية من جانب الإدارة الأمريكية للقضاء علي أي مظهر من مظاهر التشكيك في عملية إلقاء القبض علي صدام حسين.

أما الدلالة الثانية : يمكن استنتاجها من عيني صدام حسين وطريقة وضع الرأس، فالصورة توضح شخوص عيني صدام حسين بشكل غير طبيعي دليل علي أن صدام حسين قد تعرض للتخدير ؛ فما كان صدام حسين ليمسك بالصورة في يده طوعية إلا إذا كان قد تعرض لتخدير مسبق علي التقاط هذه الصورة.

كما أن رأس صدام حسين مسندة علي حجر وبشكل مائل مما يؤكد بأن أحد الأشخاص ممسكا بصدام حسين من أسفل ، فهذه الصورة تشبه الصور الكارتونية، وليست الصور الحقيقية؛ فهذا الوضع يخالف الواقع الطبيعي للإنسان الخارج من حفرة الذي يكون خروجه بشكل مستقيم وليس بشكل مائل.

ومن ثم فإن هذه الصورة تدعو إلي الشك حول طبيعتها ، فيمكن القول إن هذه الصورة مركبة ، أو أن صدام حسين قد تعرض للتخدير فوضع الصورة غير طبيعي وفقا لحركة الجسم ووضع الحفرة.

وبالنظر إلي زوايا التقاط هذه الصورة يتضح إنها من أعلي إلي أسفل وهو وضع تصويري يقلل من شأن الشخص ويحط من وضعه ، فقد جردت هذه الصورة صدام حسين من كل هالة وهونت من شأنه.

مصدر (AP) صورة (٣)

وتؤكد الصورة رقم (٣) الخاصة بالقبض علي صدام حسين أنه تعرض للتخدير؛ فهو ملقي علي الأرض مغشيا عليه بلا حراك وعينيه في هذه الصورة مقفلتين، ويظهر عليه الإجهاد بشكل واضح في دلالة سيميائية عكسية تحبط مقولات أن صدام حسين كان متعاونا أثناء القبض عليه ، فلو كان متعاونا فما كان هنالك داعي لتخديره من ناحية ، ومن ناحية أخري فإن الإجهاد الذي أصاب صدام حسين من مقاومة الأمريكيين هو

الذي جعله خائر القوي كفرضية أو أنه تعرض للتخدير حتي يكون بهذا الشكل.

كما تعني سيميائية الصور رقم (٣) إذلالاً متعمدًا لصدام حسين؛ حيث وجهه ملقي علي الأرض في إشارة سيميائية فحواها التحقير والتقليل من شأن صدام حسين من جانب ، وتعني من الجانب الأخرى التفوق والقوة والسيطرة الأمريكية ؛ حيث يظهر بالصورة جندي أمريكي ممسكا بصدام حسين وعيني الجندي متجه إلي الكاميرا في رسالة سيميائية فحواها المباهاة والسيطرة والقوة، فزاوية التقاط هذه الصورة من أعلي إلي أسفل بالنسبة لصدام حسين تدل علي التحقير والتهوين من شأن صدام حسين.

صورة رقم (٤) المصدر
Ap صور صدام أثناء الكشف الطبي

تؤكد الصورة رقم (٤) التي تم التقاطها في توقيع الكشف الطبي علي صدام حسين عقب إلقاء القبض عليه أنه تعرض للضرب الناتج عن مقاومة ، فيظهر فوق حاجب عينه الأيسر أثر إصابة، بيد أن هذه الإصابة يمكن أن تكون قبل القبض عليه ، أو أثناء القبض عليه، أو بعد القبض عليه، ولكن هذه الإصابة يبدو عليها الاحمرار دليل علي أن هذه الإصابة حديثة، مما يشير إلي أن صدام حسين قد قاوم القبض عليه مما نجم عنه هذه الإصابة .

والفارق الزمني بين الإصابة وظهور صدام حسين ليس كبيرا ولكنه يقع بين يوم أو يومين.

وهذا ما يقرب الرواية التي نشرتها صحيفة الرياض السعودية إلي الحقيقة، والتي تناقلتها عنها وكالة اليونيتد برس الأمريكية في ٢٠٠٥/٣/٩ نقلا عن مصدر عسكري أمريكي سابق، من أصل لبناني، كان منتسبا إلى الفرقة الرابعة مشاة التي تولت القبض على صدام حسين بان الرواية الأمريكية الرسمية عن عملية اعتقال الرئيس العراقي مفبركة ، وأن الفيلم الأمريكي الذي أذيع عن وقائع الاعتقال داخل حفرة في ضواحي بلدة (الدور) إلى غرب بغداد جرى تصنيعه في وحدة للتصوير والإنتاج السينمائي الحربي التابعة للفرقة الرابعة مشاة قبل أذاعته في اليوم الثاني على العالم.

وتري هذه الرواية أن صدام حسين اعتقل مساء الجمعة ١٢ من ديسمبر ٢٠٠٣ وليس يوم السبت كما أفاد الجيش الأمريكي في العراق ... وقد قبضنا عليه في منزل ريفي وليس في حفرة بعد مقاومة ضارية قتل لنا فيها مجندة من أصل سوداني" (٣٧).

فالصورة السابقة تجهض كل المحاولات الأمريكية الخاصة بجبن صدام حسين، وهو ما سيعزز لاحقا سيميائية إعدام صدام حسين. فقد روج العديد من الكتاب الإيديولوجيين الغربيين سواء أكانوا إعلاميين أو أكاديميين للعديد من الدعاوي والأوصاف والبلاغيات الخاصة بجبن صدام حسين في الدفاع عن نفسه ، فقد وصفه أحد الأكاديميين بقوله : " لقد أوقع الجنود الأمريكيين بصدام حسين في المصيدة مثل أرنب يخرج من جحره ، وعندما أمسك بهذا الصخاب الطاغية الدموي، الذي كان يطلب من الآخرين أن يموتوا من أجله لم يحاول حتى الدفاع عن نفسه بالأسلحة التي بحوزته" (٣٨).

كما وصف أكاديمي آخر طريقة القبض علي صدام حسين بأنه عندما عثر عليه الأمريكيون قال: "أنا صدام حسين، أنا رئيس العراق، أنا راغب في التفاوض" ورد عليه الجندي الأمريكي قائلا: "الرئيس بوش يرسل إليك تحياته" (٣٩).

كما إن الدلالات الرمزية والسيميائية من وراء ظهور صدام حسين بلحية غير مشذبة تدشين في مخيلة المشاهد صورة اللصوص وقاطعي الطرق، فضلا عن الربط الضمني بين اللحية الكثيفة والمتشددين الإسلاميين الذين تحرص وسائل الإعلام الغربية علي ظهورهم بهذا الشكل في وسائل الإعلام دليلا علي الهمجية والتخلف ، لكي تدعم من وراء ذلك هدفين: أولهما: أن صدام حسين هو شخصية إرهابية لا يجب التعاطف معها ؛ فهو متماثل مع الإرهابيين في الشكل، وثانيها: تبرير حربها علي العراق بأنها حرب علي الإرهاب الذي روجت له وسائل الإعلام الغربية بصور أسامة بن لادن وأيمن الظواهري حتي تضعهم في سلة واحدة، فإن اختلفا في الأسلوب فهما متفقان في الشكل علي الأقل.

كما أن الدلالات السيميائية الخاصة بمحاولة تمزيق صورة صدام حسين لم تقف عند الحد الدلالي الباطن المتمثل في استخدام الإضاءة وزوايا الكاميرا المختلفة، ولكنها تعدته للدلالة الظاهرة ، ويتجلي ذلك في الصورة التي نشرتها صحيفتا الصن Sun البريطانية والنيويورك بوست الأمريكية New York Post ، وهما تابعتان لروبرت ميردوخ ضمن إمبراطوريته المعرفة باسم نيوز كوربريشن News Corporation ؛ فهو يمتلك ٢٢ صحيفة استرالية ، وسبع صحف بريطانية ، وصحيفة أمريكية، وسبعة عشر قناة كابل، وثلاثة أقمار صناعية، وثماني مجلات، وسبع دور للنشر، وست قنوات تليفزيونية ، فضلا عن امتلاكه العديد من دور العرض واستوديوهات التسجيل [٤٠] وهو استرالي الأصل لديه الجنسية الأمريكية. بينما هو في الأصل يهودي الديانة.

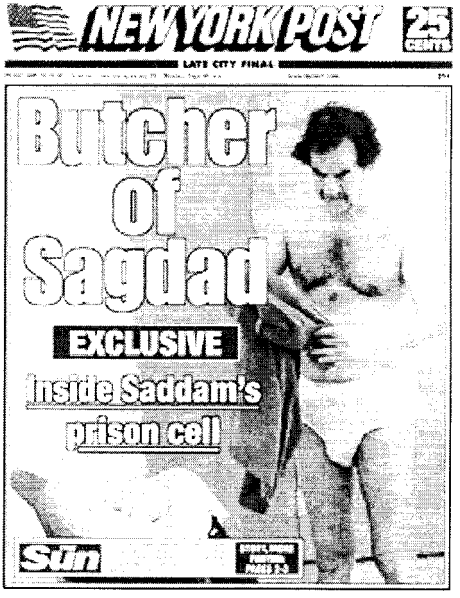


صحيفة الواشنطن بوست، صورة(٦)

صحيفة الصن ٢٠٠٥/٥/٢٠ صورة(٧)

أحرجت هذه الصورة كل من الإدارة الأمريكية والبريطانية - في الظاهر - إذ كيف يتم التقاط مثل هذه الصور لصدام حسين وهو يقع تحت قبضة الإدارة الأمريكية؟ ، وكيف تم اختراق الأجهزة الأمنية المحيطة بصدام حسين؟ ، وكيف تم نشر هذه الصور في الدولتين الآتي قادتا الحرب ضد العراق؟ وهما المروجتان لحماية حقوق الإنسان.

أوقعت هذه الصورة الإدارة الأمريكية في مأزق حيث رأت منظمات حقوقية مثل: مراقبة حقوق الإنسان **Human Right Watch** أن مثل هذه الصور مخالفة لاتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية الأسري، وهي صور غير لائقة إنسانيا. وهذا ما دعا جورج بوش إلي سرعة التحقيق في هذا الموضوع.

بيد أن الحقيقة الخفية وراء نشر هذه الصور ترمي إلي إذلال صدام حسين وإضعاف روحه المعنوية من ناحية، وتثبيط روح المقاومة العراقية من ناحية أخري كهدفين للإدارتين الأمريكية والبريطانية من زاوية، وتأكيدا للتحالف الثلاثي: الأمريكي البريطاني الإسرائيلي من زاوية أخري؛ إذ أن مردوخ يقوم بدور قوي في الترويج للرأسمالية الغربية من خلال سيطرته علي وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية لمصلحة هويته الدينية .

ويبدو من ملامح هذه الصور كبر حجم شعر رأس صدام حسين؛ أي أن هذه الصورة قد التقطت لصدام حسين قبل تعرضه للمحاكمة لأن شعر صدام حسين أثناء طوال جلسات المحاكمة كان مشذبا.

## (ج) سيميائية محاكمة صدام حسين

بدأت محاكمة صدام حسين في ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥، واستمرت حتي صدور حكم الإعدام عليه في نوفمبر ٢٠٠٦ ، بواقع تسع وثلاثون جلسة ، امتنع عن حضور أربعة منها ، وطرد من أربع جلسات أخريات بدعوي أنه يقدم خطبا سياسية وليست دفاعا عن نفسه ، وقد عكست هذه المحكمة العديد من لغات الجسم الخاصة بصدام حسين موضحة العديد من ملامح شخصيته من ناحية وموضحة من ناحية أخري تسييس قضية محاكمته.

### (١) لغة الجسد الخاصة بمحاكمة صدام حسين.

إن لغة الجسد تمثل نسقا تواصليا، فهي بمثابة لغة أو هو لغات لها قوانينها ومنطقها وأسرارها أيضا[٤١]، وهذا يفرض على الباحث " الكشف عن الطريقة التي ينتج بها الجسد دلالاته المرتبطة بصور صدام حسين، ولن يتسنى ذلك، من الناحية الإجرائية، إلا بالتركيز على الاستعارات الخاصة بالجسد، وتجاوز أبعاده النفعية المباشرة ؛ لأن الجسد بقدر ما يوجد داخل عالم الأشياء، كجزء لا يتجزأ منها ، بقدر ما ينفصل عن الأشياء ليندرج ضمن حقل الثقافة، وذلك بفضل تشكله كدال، وبفعل قدرته على توليد الدلالات[٤٢].

ولن يقف تحليل لغة الجسد الخاصة بصدام حسين عند حركات الأيدي والإيماءات وتعبيرات الوجه، ولكن التحليل يتطرق للألوان المستخدمة ، وكذلك للملابس التي يرتديها صدام حسين.

لقد شككت العديد من المصادر الموجودة علي الإنترنت في حقيقة القبض علي صدام حسين متذرعين بأنه أعسر وصدام حسين أيمن معتمدين في ذلك علي تحليل لغة الجسد الخاصة بصدام حسين، ولم يقتصر أمر التشكيك في خبر القبض علي صدام حسين عند المصادر غير الرسمية مثل الصحف والمنتديات الموجودة علي الإنترنت بل تعداه ليصل إلي المصادر الرسمية، فقد أصدرت وزارة الشؤون الخارجيّة الروسية تصريحًا يشككّ في أسر صدام حسين. صرح بذلك نائب وزير الخارجية الروسي يوري فيدوتوف The Russia Journal Daily[٤٣] .

بيد أن هذا البحث لا يتطرق إلي حقيقة القبض علي صدام حسين من عدمه، ولكنه يسعي في أحد جوانبه إلي ترجمة دلالات لغة الجسد للوقوف علي حركات لغة جسد صدام حسين أثناء محاكمته.

تشير سبابة اليد وهي مرفوعة لأعلي مع القبض علي باقية الأصابع - عادة ما يكون وضع اليد فوق مستوي الرأس - إلي الاعتزاز بالنفس مع الوعيد للطرف الآخر (أمريكا/ القاضي).

كما تشير هذه الصورة إلي عدم رضاء صدام حسين عن التهم التي وجهت إليه من قبل المحكمة وعن طريقة التعامل معه بوصفه رئيس العراق.

صورة (٨) المصدر[٤٤] AP

تأكد سيميائية هذه الصورة إلي تحقير صدام حسين للمحكمة وعدم رضائه عن سيرها ممثلة في حركة سبابة يده اليسري - وقد تكرر هذه المشهد أثناء سير المحاكمة كثيرا - مشيرًا بها إلي رئيس المحكمة ، كما توحي هذه الحركة التقليل من شأن رئيس المحكمة ، وهذا ما أكده صدام حسين لفظيًا للقاضي بقوله: لولا الأمركان ما كان أنت ولا أبوك تجبوني في هذا المكان"

صورة (٩) المصدر[٤٥] AP

ووفقا لتحليل باتي وود مستشارة لغة الجسد في أتلنتا Atlanta فإن حركة إصبع صدام حسين وهي موجهة إلي القاضي توحي بأنها : " تشبه إطلاق نار رمزي على القاضي، إنه يقول: كيف تجرؤون على تحدي رئيس بلدكم. إنه يريد رمزيا قتل من يفعلون به ذلك"[٤٦].

صورة (١٠) المصدر[٤٧] AP

كما أكدت هذه الدلالة السيميائية قول : صدام حسين "أنا صدام حسين ، رئيس العراق فوق الكل" وجاءت هذه الدلالة نتيجة الأسلوب الذي استخدامه القاضي مع صدام حسين ، الذي لم يتح له الرد إلا علي أسئلة معينة الخاصة بسير المحاكمة الجنائية من وجهة نظر القاضي رافضا أن تكون محاكمة صدام حسين محاكمة سياسية وبلغ برئيس المحكمة حد

التسلط في استخدامه لسلطاته بطرد محامية صدام حسين، وعلي أثر ذلك طلب صدام حسين من المحكمة إعفاءه من حضور ما تبقى من جلسات محاكمته التي وصفها بأنها مهزلة ، وسلم صدام رسالة مكتوبة بخط يده - بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٥- يتهم فيها رئيس المحكمة وهيئة الادعاء أهانته. وجاء في الرسالة: " لم تمنحني المحكمة فرصة الكلام عندما حاولت توضيح الحقيقة ، وذلك برفع يدي ثلاث مرات." [٤٨].

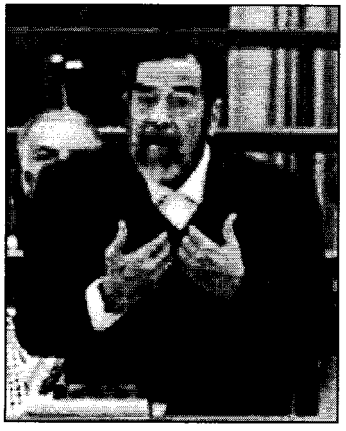

صورة (١١) المصدر[٤٩] AP

تشير سيميائية هذه الصورة إلي استغراب صدام حسين ، فوضع اليدين علي الصدر بهذا الطريقة مع رفع حاجب العين اليمني يوحي بالاستغراب والاستنكار والاستهجان ، ويؤكد هذا الاستغراب رفع حاجب العين الأيمن أعلي من الحاجب الأيسر.

انتقد صدام حسين رئيس المحكمة القاضي محمد العريبي الخليفة بسبب إغلاق الميكروفون في الجلسة التي سبقت. وشكا صدام من أنه لم يسمح

بالدفاع عن نفسه. لكن القاضي قال: إن إغلاق الميكروفون كان بدافع فرض النظام في المحكمة. وقد أجلت المحاكمة إلى يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر [٥٠].

قد جاءت لغة الجسد الخاصة بصدام حسين في مجملها انفعالية ومرجعية الانفعال فيها تعود بالدرجة الأولي إلي تسيس محاكمة صدام حسين من قبل الحكومة العراقية وتدخلها في سير محاكمة صدام حسين بتغير رئيس المحاكمة ، وتعامل الرئيس الجديد مع صدام حسين بأسلوب غير لائق، مما نجم عنه صدور لغة جسد حادة من قبل صدام حسين تجاه القاضي الجديد لعدم السماح له بالدفاع عن نفسه.

ومما يدل علي تسيس محاكمة صدام حسين تغير القاضي من قبل الحكومة العراقية بعد أن قال رئيس المحكمة القاضي عبد الله العامري: إن صدام حسين ليس ديكتاتورا، بعد يوم من انتقاده بالتحيز لصالح الرئيس المخلوع. وقال العامري إن صدام كان يبدو دكتاتورا بسبب المحيطين به؛ جاء ذلك بعد أن علق الرئيس السابق على كلام شاهد كردي تحدث عن مقابلة مع صدام عام ١٩٨٩ لاستعطافه بالتعرف على مصير عائلته المعتقلة، وسأل صدام الشاهد قائلا: "لماذا حاولت مقابلتي إذا كنت تعرف أني دكتاتور؛ عندها قال القاضي العامري: "أنت لست دكتاتورا، الناس المحيطون بك صوروك كذلك". فشكره صدام[٥١].

وقد تم استبعاد صدام حسين أربع مرات من قاعة المحكمة، منها ثلاث مرات متصلة برفضه المتكرر التزام الهدوء، ومحاولته تسيس القضية من وجهة نظر المحكمة التي رأت أن القضية التي تنظرها هي جنائية وليست سياسية.

كانت المرة الأولي في ، ٢٠٠٦/٩/٢٠ ، وقد أبعد صدام عن قاعة المحكمة بعد رفضه الاعتراف برئيس القضاة الجديد، محمد عريبي الخليفة، الذي عين خلفا للقاضي عبد الله العامري. وكان العامري قد استبدل بسبب اتهامه بالتحيز. رفض الرئيس العراقي المخلوع الجلوس وطلب منه القاضي الخليفة، الذي كان نائبا لرئيس المحكمة، مغادرة القاعة. وقد غادر القاعة أيضا محامو الدفاع عن صدام احتجاجا على إخراجه، وقالوا: إنهم لن يعودوا حتى توقف الحكومة تدخلها في المحاكمة.

بينما كانت المرة الثانية في ٢٠٠٦/٩/٢٥ ، فقد أبعد صدام حسين من قاعة المحكمة بعد قوله إنه لا يريد المجيء إلى "هذا القفص" إشارة إلى المحكمة ، وطلب القاضي منه أن يظهر احتراما للمحكمة قائلا: "أنا رئيس المحكمة وأنا أقرر من يحضر هنا"، وأمر الحرس قائلا: "أخرجوه".

أما المرة الثالثة المتكررة في نفس الأسبوع ؛ فكانت في يوم ٢٠٠٦/٩/٢٦ ، وقبل إخراج صدام حسين وجه له رئيس المحكمة القاضي محمد عريبي الخليفة ، تحذيرا شديدا ، قائلا: "بإمكانك الدفاع عن نفسك وتوجيه أسئلة للشهود، وأنا مستعد

السماح لك بذلك ، لكن عليك أن تعلم أن هذه محكمة وليست مكانا للخطابات السياسية" ،أما المرة الرابعة والأخيرة فكانت في (٢٠٠٦/١٠/١٠) بعد أن حاول صدام حسين إلقاء خطاب سياسي بدأها بآية من القرآن.

ومما يؤكد علي تدخل الولايات المتحدة في سير القضية اختيار قضية ثانوية ذات بعد محلي وهي قضية الدجيل التي تعد قضية صغيرة الحجم والأبعاد، إذا ما قورنت بقضايا أكبر حجما وذات أبعاد دولية مثل: حرب الخليج الأولى ، وحرب الخليج الثانية ، واستعمال الأسلحة الكيمائية في حلبجة شمال العراق.

وقد اعتبر البعض اختيار هذه القضية بنيت على اقتراحات من الولايات المتحدة ، ولم تبنى على أولويات وقناعات الشارع العراقي أو الحكومة العراقية ، وكان الهدف منها هو الابتعاد عن القضايا التي تبرز تورط الولايات المتحدة الأمريكية ، أو دول أوروبية كبرى في دعم صدام حسين وبناء ترسانته العسكرية من الأسلحة الكيمائية والبيولوجية أثناء حربه مع إيران للحيلولة دون تدويل المحاكمة[٥٢].

وعلي الجانب الآخر أبدت منظمة مراقبة حقوق الإنسان **Human Rights Watch** ومنظمة العفو الدولية ملاحظات حول معايير المحكمة الجنائية المختصة التي حسب نظرهم "قد لا ترتقي إلى مستوى المعايير الدولية ، وأبعدت الأمم المتحدة نفسها كليا عن إجراءات المحاكمة لنفس الأسباب وللاحتمالية الكبيرة من صدور حكم الإعدام[٥٣].

وبالنظر إلي كل صور صدام حسين أثناء محاكمته يتبين أنها التقطت من أعلي إلي أسفل للتقليل من شأن صدام حسين لدي الجمهور (المشاهد) ، لكي تخلق جوا نفسيا لدي المشاهد بأن صدام حسين شخص حقير.

## (٢) سيميائية ملابس صدام حسين وألوانها

أما فيما يتعلق بملابس صدام حسين وألوانها ، فقد ظهر صدام حسين بأربعة أنماط من الملابس، أولها: الملابس التي قبض عليه فيها وهي ملابس شتوية ، جاكت شتوي له فراء علي جلباب لونه بيج للتأكيد علي القبض عليه في الشتاء، وقد استمر بهذه الملابس حتي ظهره أمام المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه القبض عليه، وهي ملابس رثة في دلالة سيميائية فحواها عدم الاهتمام بنفسه ، وظهر شعره غير مشذب، ووجهه أشعث أغبر، وجسده غير نظيف، للتحقير من شخصية صدام حسين وشكله، وليبدو للعيان أنه شخصية غير جديرة بالاحترام ، وذلك من خلال الربط الضمني بين ملابس صدام التي يرتديها وبين شخصيته غير المحترمة في دلالة سيميائية ضمنية فحواها التأكيد علي المضمون بالشكل ، فشكل صدام حسين غير النظيف ينم عن شخصية غير النظيفة أيضا.

فالملابس التي ظهر بها صدام حسين أمام كاميرات التلفاز بعد إلقاء القبض عليه لا تناسب رئيس دولة ، ولكنها ملابس عادية مثل ملابس الرجل البسيط في الشارع العراقي في دلالة سيمائية تجريدية ، ليتم تجريد صدام حسين أمام الرأي العام العالمي والمحلي من أي سلطة أو نفوذ أو هيبة أو سطوة.

أما النمط الثاني من الملابس فهي الملابس التي ظهر بها صدام حسين تحت أسر القوات الأمريكية سروال داخلي يظهر بدن صدام حسين - وهي صورة من المرجح أنها التقطت قبل محاكمة صدام حسين - دلال علي تعرية صدام حسين أمام العالم ، وبأنه لا يملك أي شيء ، وليس هناك من يهتم به؛ فهو الذي يقوم بغسل ملابسه بنفسه مثله مثل أي سجين عادي، وقد تقابلت سيميائية هذه الصورة مع السيميائية السابقة ، فإذا كانت سيميائية الصورة السابقة جردت صدام حسين معنويا أمام الرأي العام ، فإن سيميائية هذه الصورة قد جردت صدام حسين من ملابسه فعليا لتلقي السيميائيتين في سيميائية واحدة وهي إظهار صدام حسين أمام الرأي العام مجردا ماديا ومعنويا.

أما النمط الثالث من الملابس التي كان يرتديها صدام حسين فقد كانت حله سوداء ظهر بها أثناء معظم جلسات المحكمة دونما تغير لهذه البذلة في جلسات المحاكمة إلا مرة واحدة كان يرتدي فيها الجاكت علي جلباب أبيض وهي المرة الرابعة.

أما أخر مشهد ظهر به صدام حسين أمام عدسات التلفاز في مشهد الإعدام ، فكان يرتدي صدام حسين جاكت أسود شتوي كثيف علي بذلة سوداء، يلاحظ علي ألوان ملابس صدام حسين بأنها لم تتعدي اللون الأسود والأبيض.

تنم سيميائية الألوان الأحادية (أبيض / أسود) التي كان يرتديها صدام حسين إلي أن صدام حسين أصبح من العهد البائد ، فدلالة الألوان الفاتحة تشير في الصورة إلي الحركة أما الألوان المحايدة فتشير إلي الجمود والثبات، وبذلك أريد بصور صدام حسين أن تظهره بمظهر المتجمد فكريا غير القادر علي فعل شيء لنفسه أولا وللعراقيين ثانيا، فهو من متحف التاريخ.

## (د) سيميائية إعدام صدام حسين

دحضت سيميائية إعدام صدام حسين الدعاوي التي أقامتها وسائل الإعلام الغربية حول جبن صدام حسين ، فطريقة وصول صدام حسين بخطوات ثابتة في طريقه لحبل المشنقة هي دليل علي أن صدام حسين كان لا يهاب الموت، وهو موقف لا يقبل التشكيك ؛ فالرجل عندما يواجه الموت لا يمكن أن يتحكم في مشاعره وانفعالاته الكاذبة ويكون متراجعا ومتوترا ، وخطاه غير ثابتة ويرتجف ، وصوته لا يكاد يسمع ، وقدماه تتداخلان ويقدم قدما ويؤخر أخري، غير أن كل هذه الانفعالات لم تظهر علي صدام

حسين وهو في طريقه إلي حبل المشنقة ، ولكن علي العكس من ذلك تماما ظهر صدام حسين متحكما في انفعالاته وواثقا في نفسه لا يهاب الموت ، واتضح ذلك في نبرات صوت صدام حسين، وصوته الجهور وهو ينطق بالشهادتين، وهو يتحدي الكلمات الطائفية التي ترددت في مشهد تنفيذ حكم الإعدام.

وذلك علي عكس ما صرح به موفق الربيعي(مستشار رئيس الوزراء للأمن القومي) بأن صدام حسين كان خائفاً ومرتبكاً غير مُصدّق لما يحدث حولة حيث بدا صدام هادئا متماسكا برباطة جأش لم يختلف عليها أحد ، ونطق الشهادتين وتجاهل شعارات عدم الاحترام من حوله وحتى انه أستهزأ ،وقال "هل هذه مرجلة؟" وأبتسم ، وبعد هذه الدلالات المتباينة بدأ التشكيك حول كل المقولات الرسمية السابقة حول صدام منذ اعتقاله حتى إعدامه ، ومنها إلقاء القبض عليه ووجوده في حفرة واستسلامه حتى التسريبات حول طعامه الذي كان يتناوله فترة اعتقاله.

صورة (١٢) : المصدر التليفزيون العراقي

ومن الدلائل السيميائية علي قوة أعصاب صدام حسين رفضه أن يضع غطاء علي وجهه وهم يقومون بوضع الحبل حول رقبته وأكتفي بوضع شريط أسود حول عنقه ليخفف من حدة الحبل عليه. كما أن دلالة لغة الجسم تؤكد شجاعة صدام حسين وهو يواجه حبل المشنقة. بيد أن هذه الشجاعة ربما تعود لفقدانه السلطة السياسية ، وفقدانه لوضعه السياسي واعتباره ، ومقتل ولديه عُدي وقصي علي يد الأمريكيين ؛ فأراد الموت لكي يكون وسيلته للخلاص ، غير أن هذه الفرضية لا يمكن التعويل عليها كثيرًا ، لأنها لو كانت صحيحة لأقدم علي الانتحار قبل قبض القوات الأمريكية عليه.

ونفي الفرضية السابقة يدعم الفرضية العكسية المتعلقة بشجاعة صدام حسين من زاوية ، ويؤكد من زاوية أخري إيمانه بموقفه من العداء الغربي للعرب ، فمقوله تحيا فلسطين التي لفظ بها قبل الشهادة. تؤكد إيمانه بالقضايا العربية فكلمات الموت عادة ما تكون صادقة.

لقد ساعدت زوايا التصوير في تكوين سيميائية حقيقية لمشهد إعدام صدام حسين إذ أن كامل مشهد إعدام صدام حسين كانت الكاميرا متجهة إلي أعلي مدشنة دلالات الكبرياء والشموخ، علي عكس السيمياء التي أظهرت صور القبض علي صدام

حسين إذ اوحت بأن صدام حسين ضعيفاً ومحبطاً يندم علي وضعه رهن الإعتقال، ومرجع ذلك أن القائم بالتصوير في مشهد الإعدام لم يكن محترفا للتصوير فضلا عن هيبة موقف الإعدام اللذان أنتجا سيميائية صادقة لمشهد إعدام صدام حسين.

## (هـ) الأنساق الأيديولوجية التي قدمتها سيميائية القبضَ علي صدام حسين وإعدامه

اخفت الإدارة الأمريكية الأنساق الإيديولوجية الإمبريالية داخل الباطن العميق لصور صدام حسين في رسالة مضمرة ردعية للأنظمة العربية فحواها أنه منْ يحيد عن النسق أو الخط الإيديولوجي الأمريكي ، أو يحاول التطاول علي السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط يواجه نفس مصير صدام حسين ؛ فيكون كالفأر الخارج من جحر الجرذان ممثلة في مشهد سيميائية القبض علي صدام حسين، وينتهي به المآل إلي المقصلة ويصير كالأضحية ، ولا يجد أنصار تدافع عنه في ظل أحادية أمريكية لا منازع معها ، ولا يصل صوته إلي المجتمع الدولي وإن وصل فلا صدي له ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية سيدة العالم ولا يجرؤ أحد في العالم أن يقول لها لا حتي ولو كانت المنظمات الدولية ممثلة في الأمم المتحدة المعنية بالشئون الدولية ، والمنظمات الإقليمية الممثلة في جامعة الدول العربية ، والمنظمات الإيديولوجية الممثلة في منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن الدلالات والرموز السيميائية التي أريد لها أن تصاحب مشهد إعدام صدام حسين شنقا وجهت سياسيا لكي تأخذ صبغة أيديولوجية مفادها تدشين مقولة الحرب الصليبية علي الإسلام التي سبق وأن أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش ، وكذلك إعلانه أن هذه الحرب لمواجهة (الفاشية الإسلامية) ثم تراجع عن هذين المقولتين بعد ذلك.

إن توقيت إعدام صدام حسين في عيد الأضحى الذي يحرم فيه القصاص لا يمكن أن يعزي إلي الحكومة العراقية ، ولكن مرجعه إلي إدارة الصقور أو المحافظين الجدد القائمين علي السياسة الأمريكية مريدين من وراء ذلك أن تصبح ذكري إعدام صدام حسين عالقة في ذكري الشعوب الإسلامية كلما جاء عيد الأضحى، وذلك من خلال ربط الحدث بالزمان، أي ربط حادث إعدام صدام حسين بعيد الأضحى الذي يمر سنويا علي العالم الإسلامي ، وهذا يعيد إلي الذاكرة الإسلامية مقتل الحجيج من قبل الصليبين في عهد الحروب الصليبية في زمن صلاح الدين الأيوبي، في رسالة ضمنية موجهة إلي الشعوب الإسلامية علي مقدرة الإدارة الأمريكية أن تفعل ما تريد وقتما تريد.

كما ركزت صحيفة التايم الإلكترونية علي التشابه المعاكس بين صدام حسين وصلاح الدين ، فصلاح من وجهه النظر الغربية سفاح أهدر دم الكثير من الصليبين ، فالاثنان مولدهم مرتبط بتكريت، والاثنان من العراق وهما يستحقان القتل[٥٤].فمن ثم فقد وظفت هذه الصورة سيميائيا بطريقتين مختلفين الأولي خاصة بالثقافة العربية

والثانية خاصة بالثقافة الغربية في دلالة واضحة علي اختلاف تفسير الدلالات السيميائية وفقا للمستوي الثقافي والصورة الذهنية السابقة والتراث التاريخي، فالعرب فهمت الصورة بطريقة معينة والغرب وظفها بطريقة أخري لتخدم أهدافه الإيديولوجية.

كما دشنت الإدارة الأمريكية لتفوقها الإعلامي في العراق من خلال قبضها علي صدام حسين ، فمن الناحية الإعلامية كرست الولايات المتحدة الأمريكية لقوة وسائلها الإعلامية؛ فهي الوحيدة القادرة علي نقل الإحداث إلي العالم ، وبمراجعة جميع صور صدام حسين الخاضعة للدراسة والتحليل السيميائي تبين أن معظم الصور التي التقطت لصدام حسين تابعة لوسائل الإعلام الأمريكية بدأ من مشهد القبض عليه مرورا بمحاكمته وصولا لإعدامه ، باستثناء صور إعدام حسين فهي تابعة للتليفزيون العراقي.

والملفت للنظر أن معظم هذه الصور تابعة لمصدر واحد من مصادر الإعلام الأمريكي هو وكالة الأسوشيتد برس الأمريكية ، تبين ذلك من خلال تحليل المصدر الإعلامي لصور صدام حسين منذ القبض عليه وحتي إعدامه.

ومرجع ذلك أن الإدارة الأمريكية انتهجت منذ حرب الخليج ١٩٩٠ نهجا إعلاميا علي يد جورج بوش الأب فحواه تقريب وسائل الإعلام الأمريكية من الحروب التي تقودها الولايات المتحدة وإبعاد باقية الوسائل الإعلامية الأخرى منتهجة فلسفة التقريب الأحادي؛ فقد قربت الولايات المتحدة الأمريكية في حرب الخليج محطة تليفزيونية واحدة انفردت بالتغطية الإعلامية المباشرة للحرب ممثلة في قناة CNN الأمريكية، وقد سار جورج بوش الابن علي نهج أبيه موكلا وكالة الأسوشيتد برس لبث هذه الأحداث للعالم، فإن أحادية التقريب تجعل الإدارة الأمريكية قادرة علي السيطرة علي ما تريد قوله للعالم عن هذه الحرب من ناحية، وتحجب ما تريد حجبه عن العالم من ناحية ثانية.

كما دشنت الولايات المتحدة الأمريكية من وراء القبض علي صدام حسين لقوة أجهزتها المخابراتية ممثلة في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA ؛ فقد استطاعت هذه الوكالة إن تجد مكان صدام حسين علي الرغم من اختفاء صدام حسين تحت الأرض - وإن شكك في هذه الرواية -، فهذه الوكالة قادرة علي أن تجد أعداء الولايات المتحدة الأمريكية حتي ولو كانوا مختبئين تحت الأرض.

ركزت الإدارة الأمريكية علي تفوقها التقني والتكنولوجي والعسكري من خلال القضاء علي الترسانة العسكرية العراقية من خلال إيهام العالم أن العراق يشكل رابع أقوي قوة عسكرية في العالم ، وظهر ذلك في مسرحية العرض العسكري الأمريكي بدخول بغداد ودحض مقولات صدام حسين بشأن مناعة بغداد وعدم إمكانية وصول القوات الأمريكية إليها.

## مناقشة نتائج الدراسة

نظرا لكون تحليل خطاب الصورة جديد علي الدراسات الإعلامية ، فإن تحليل خطاب الصورة يخضع في أحد جوانبه إلي الاستقراء ، ويخضع في الجانب الآخر إلي الاستنتاج، وهما شكلان انطباعيان، وإن كانت هناك ضوابط وضعها مؤسسو علم السيمياء مثل :كريس وليوفن ، وتولان ، ودورين ربورت ، وفوس وكنينجيتر، التي تمت الإشارة إليها في الدراسات السابقة ، فهي لا تعد سوي خطوط استرشادية يستفد بها في تحديد القضايا الغامضة التي لا يمكن الجزم بصدقها ولا يمكن الجزم بكذبها ، وهو ما ينطبق علي موضوع الدراسة، فالقضايا المرتبطة بتوقيت القبض علي صدام حسين وردود أفعاله ، ومحاكمته وإعدامه يشوبها الغموض ولما يكشف عن حقيقتها المقنعة حتى الآن.

من ثم يأتي دور السيمياء البصرية ليحاول كشف اللثام عن هذه الحقائق جزئيا من خلال إتباع الخطوط الإرشادية والضوابط العلمية والمنهجية التي يحاول فيها خطاب الصورة أن يقترب في دقته من خطاب النص.

## مراجع الدراسة ومصادرها


(١) للمزيد حول مفهوم السيميائية يمكن الرجوع إلي:

(أ) محمود حسن ( ابريل٢٠٠٧) سيميائية الصورة : إستراتيجية مقترحة في تنمية تجليات إبداعية وفضاءات دلالية، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر ثقافة الصورة في الفترة من ٢٤-٢٦نيسان.

(ب) عبد الحق بلعابد ( ابريل٢٠٠٧.) سيميائيات الصورة بين آليات القراءة وفتوحات التأويل، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر ثقافة الصورة في الفترة من ٢٤-٢٦نيسان- ابريل٢٠٠٧م.

(ج) جهاد يوسف العرجا ، مقارنة بين السيميولوجيا والسيميوطيقا، العنوان الإلكترون

http://ouldbostamimohamed.nireblog.com/post/2007/12/06/uuoouo-ousu-ouousuusuuuouso-u-ouousuusuousuo , date1/7/2008

(2) Alan English, Rosalind Silvester (2004) Reading Images and Seeing Words, new York , Amsterdam2, p.p 1-6

(3) Kress, G and van Leeuwen, T., (1996), Reading Images: The Grammar of Visual Design, Routledge,London. P 26.

( ٤) محمود حسن، مرجع سابق، ص٥.

(5) Anders Hansen, et al.,( 1998) Mass Communication Research Methods, Hong Kong: povey-Edmondson , p192.

( ٦) محمد عبد الحميد ، حدود الاتفاق بين نتائج تحليل محتوي النصوص والصور الصحفية، مجلة بحوث الاتصال، العدد الرابع، يناير ١٩٩٩، ص ص ١١٥-١٣٢.

(7 ) Shahira Fahmy (Sat, 20 Nov 2004 ) Picturing The Toppling Of The Saddam Hussein Statue In National & International Newspapers, This paper was presented at the Association for Education in Journalism and Mass Communication in Toronto, Canada, August 2004. available online [URL] http://list.msu.edu/cgibin/wa?LOGON=A2%3Dind0411C%26L%3DAEJMC%26P%3DR76338%26I%3D-3 , date6/7/2008

([8] ) Teun A. Van Dijk, Discourse and communication: New Approach to the Analysis of Mass media Discourse and Communication, De Gruter p2.

(9) GEE, JAMES PAUL (2005). An Introduction to Discourse Analysis: Theory and Method. London: Routledge, pp110-120.

(10) Loughorough University (2007)Methods for Media Analysis, available online [URL] date 8/7/2008

http://www.lboro.ac.uk/research/mmethods/research/methods/index.html
(11) Rebecca. Rogers(2004)An Introduction to Critical Discourse Analysis in Education, new Mexico Published Lawrence Erlbaum Associates. p20.
([12]) Jennifer L. Smith Critical discourse analysis for nursing research, *Nursing Inquiry* 2007; vol. 14, No(1): 60–70 p61.
(13) Fowler, Hodge, Kress, & Trew, 1979 'What the papers say': Linguistic variation and ideological difference. In Roger Fowler, Bob Hodge, Gunther Kress, & Tony Trew (Eds.), Language and control. London: Routledge & Kegan Paul, p23.
(14) Ruth Wodak & Teun A. van Dijk (Eds.), 2000 Racism at the Top. Parliamentary Discourses on Ethnic Issues in Six European States.. Klagenfurt: Drava Verlag,. (pp. 13-30)
([15]) Chouliaraki, Lilie (2002): the Aestheticization of Suffering on television, Visual Communication 2006; v*ol. 5, no3: pp. 261 - 285.*
([16]) Kress, G and van Leeuwen, T., 1996, *Reading Images: The Grammar of Visual Design*, Routledge,London.
([17]) Kress, G and van Leeuwen, T., 2006, Reading Images: The Grammar of Visual Design, Routledge,London.
([18]) Foss, S., & Kanengieter, M. (1992). Visual communication in the basic course. Communication Education, 41, 312-323
(19) Dorion Robert (2005) Bitemark Evidence, New York, CRC Press, pp169-182.
(20 ) Michael J. Toolan (2002) Critical Discourse Analysis: Critical Concepts in Linguistics, London: routledge
([21])FAIRCLOUCH, Norman. (1995). Media Discourse. London: Edward Arnold.p57.
([22]) قدور عبد الله ثاني (٢٠٠٤) سيميائية الصورة: مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم ، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع ص ص٢٠٥- ٢٢٠.
(23 ) About site http://www.about.com/

(24 ) New York Times Company site, http://www.nytco.com/
(25 ) BBC, Saddam Hussein arrested in Iraq Last Updated: Sunday, 14 December, 2003, 17:04, date 4/5/2007, http://news.bbc.co.uk/1/hi/default.stm
(26) Thomas McInerney, and Paul E. Vallely (2004) Endgame: The Blueprint for Victory in the War on Terror,New York: Pub Regnery p8.
(27) The Gallup Poll: Public Opinion 2003 (2004) New York :Rowman & Littlefield, p448.
( ٢٨) تناول هذا الموضوع عددا من المنتديات العربية علي الإنترنت منها
1. http://www.t63ys.com/vb/t2655.html
2. http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=397357
3. http://vb.roro44.com/19048.html
( ٢٩ ) موقع CNN Arabic حفرة صدام حسين، ٢٠٠٧/١٢/٣ متاح عبر الإنترنت بعنوان: بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٥
http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/12/3/arab.press/index.html
( ٣٠ ) موقع ابن الخليج ، القصة الحقيقية لاعتقال صدام حسين ، متاح عبر الإنترنت : بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٩: http://www.gulfson.com/vb/t74214.html
( ٣١ ) صحيفة الشروق التونسية، صدام حسين لا أخاف من الموت سأغادر وأترك أبطالي، ٢٠٠٦/١١/٥، متاح عبر الإنترنت ، متاح عبر الإنترنت ، بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٩
http://www.echoroukonline.com/modules.php?name=News&file=article&sid=2607
(٣٢) موقع السي أن أن ، نسخة الشرق الأوسط العربية ، قاضي الدجيل ينتقد توقيت إعدام صدام حسين، متاح عبر الإنترنت ، بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٧
http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/1/11/news.paper/index.html
(٣٣) طارق الحميد ، إعدام صدام.. جريمة التوقيت ، صحيفة الشرق الأوسط، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦ العدد ١٠٢٦٠.
(٣٤) عبد الرحمن الراشد، إعدام صدام وخطأ الشكليات، صحيفة الشرق الأوسط، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦ العدد ١٠٢٦٠.
(٣٥)موقع قناة العربية ، متاح عبر الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٥
http://www.alarabiya.net/articles/2007/01/05/30475.html
(٣٦)موقع سي أن أن العربية ، صدام حسين المشهد الأخير ، متاح عبر الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٩

http://arabic.cnn.com/2006/saddam.trial/12/30/execution.reaction/index.html

( ٣٧) صحيفة الأيام ، صدام حسين قاوم بإطلاق النار وقصة الحفرة مفبركة، متاح عبر الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٨

http://www.al-ayyam.info/default.aspx?NewsID=899ebbf5-7a39-41d5-a6b8-c2fb03d06641

(38) Thomas McInerney, and Paul E. Vallely (2004) Endgame: The Blueprint for Victory in the War on Terror,New York: Pub Regnery p8

(39) Simone Payment (2005)Finding and Capturing Saddam Hussein: A Successful Military Manhunt, New York, the Rosen publishing group, p5.

(40) News Corporation , Newspapers , available online [URL] http://www.newscorp.com/operations/newspapers.html, date 5/9/2007

(41) Pease Allan, Body language How to Read Others' Thought by Their Gestures , London: Sheldon Press, 1988, p4.

(٤٢) سعيد بنكراد "السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها" منشورات الزمن( سلسلة شرفات )-الدار البيضاء ٢٠٠٣، ص١٢٥.

(٤٣) من هذه المصادر :

http://www.nabdh-alm3ani.net/nabdhat/showthread.php?t=7424

http://vb.roro44.com/7943.html

http://www.aljawarh.net/vb/archive/index.php/t-25280.html

http://www.alm7rom.com/vb/showthread.php?t=1768

(44) BBC , date 16/6/2007 http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_6119000/6119646.stm

(45 ) CBS News, 5 April 2006 , Day By Day: Saddam's Trial http://www.cbsnews.com/elements/2005/10/19/in_depth_world/whoswho955489_0_17_person.shtml date 16/6/2007

(٤٦.) موقع BBC ، هل تنم حركات وإشارات صدام عن الهزيمة؟ بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٥

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_3859000/3859843.stm

(47 ) CBS News, 22 May 2006 , Day By Day: Saddam's Tria,l 5 April 2006

http://www.cbsnews.com/elements/2005/10/19/in_depth_world/whoswho955489_0_25_person.shtml

( ٤٨) موقع BBC Arabic ، التسلسل الزمني للمحاكمة الخاصة بقضية الأنفال ، متاح عبر الإنترنت بتاريخ الخميس ٥ ديسمبر ٢٠٠٦ بعنوان : بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٧

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_5386000/5386616.stm

(49 ) CBS News, date 29/7/ 2007

http://www.cbsnews.com/elements/2005/10/19/in_depth_world/whoswho955489_0_7_person.shtml

( ٥٠) التسلسل الزمني للمحاكمة الخاصة بقضية الأنفال ، مرجع سابق.

( ٥١) التسلسل الزمني للمحاكمة الخاصة بقضية الأنفال ، مرجع سابق.

( ٥٢) موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، محاكمة صدام ، متاح من خلال العنوان الإلكتروني: بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٧

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85%D8%A9_%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D9%85_%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86

( ٥٣) مرجع سابق.

(54) MICHAEL ELLIOTT The Semiotics of Saddam, Time site , available online [URL] 19/8/ 2007

datehttp://www.time.com/time/columnist/elliott/article/0,9565,568314,00.html